الطائفية واقع سياسي حقيقي وعميق الجذور يتجاوز ما يسمى بـ« التعايش الاخوي » بين الطوائف ·

فعلى الرغم من ان موجة الخطف والذبح على الهوية وفقا للانتماء الديني والطائفي قد اجتاحت بيروت وضواحيها في اواسط الازمة وراح ضحيتها اعداد لا يستهان بها من ابناء الجنوب والقرى الحدودية ، فلا ردود الفعل العفوية ، ولا استفراد مجموعة صغيرة من القرى المسيحية على الحدود البعيدة اديا الى موجة خطف ثأرية · حتى ان عددا من ابناء بنت جبيل بالذات كانوا قد ذهبوا ضحية موجة خطف وذبح في بيروت ، لم ترتفع مطالبة بردود ثأرية من الجوار المسيحي سوى اصوات قليلة خائفة ما لبثت ان خنقها الموقف الوطني الواعي لابناء بنت جبيل · ولم تسجل هذه الفترة السوداء سوى حادث ثأري واحد في تلك المنطقة بين قريتي ياريين ومروحين ، لم يلبث ان طوق واعتقل الفاعلون ، ولم يسمح له بالتحول من حادث فردي الى موجة جماعية ·

واذا كانت فترة « الجسور المفتوحة » الحالية بين اسرائيل والجنوب تسترعي الاهتمام والدراسة واستخلاص العبر ، فان فترة عدم استجابة الشريط الحدودي المتخلف والمحروم والمتروك فريسة الضغوط المتنوعة لموجات الغرائز الطائفية التي صبغت فترات معينة من الحرب الاهلية اللبنانية ، وكانت عنوانا بارزا لبعض هذه الفترات ، هذه الفترة تستحق هي الاخرى الالتفات والدراسة واستخلاص العبر · بل ان من الواضح ان فهم الحجم الحقيقي والاسباب الحقيقية لعملية «الجسور المفتوحة » ، والمعتمدة في بعض جوانبها على تحريك المخاوف الطائفية ، غير ممكن الا بالمقارنة بالفترة السابقة الممتدة من بداية الحرب الاهلية ، حتى بداية فترة « الجسور المفتوحة»·

ان عدم استجابة الشريط الحدودي لموجات المد الطائفي في الحرب الاهلية اللبنانية يتجاوز كما قلنا المفاهيم السطحية لـ « التعايش بين الطوائف »، ويثبت ان التنويعات الطائفية في تركيبة المجتمع اللبناني ، حتى في اكثر مواقع تخلفه ، لا تتحول الى تحركات سياسية الا اذا كانت هناك يد ترسم وتخطط ، وتتوجه عمدا الى تحريك التركيبة الطائفية للمجتمع اللبناني ، وتحويلها الى تحركات سياسية في هذا الاتجاه او ذاك ·

على ضوء هذه الحقيقة يمكننا الانتقال بسهولة ووضوح لاستعراض واقع « الجسور المفتوحة »، متجنبين الوقوع في فخي التهويل والتهوين، فنضع اليد على الاسباب الحقيقية وعلى عوامل توسع او ضيق رقعة